ملخص المحاضرة السادسة : المنهج الجينيالوجي عند نيتشه

يندرج هذا النهج الفلسفي إذن لفريدريك نتشه ضمن محاولته لهدم ما جرت عليه العادة، حتى صار في حكم الحق الذي يندّ عن الشك، والحال أنه لا يعدو مظاهر مشروطة بسياقات مخصوصة، لكن من كثرة تداولها صارت في عهدة القائلين بها حقائق؛ لذلك سعى فريدريك نتشه إلى هدم ما صار يعتقد أنه حقيقي، حتى إنه لم يتوان في كتابة مؤلف حول كيف تتفلسف بمطرقة؟ أي كيف تهدم ما تقرر في حكم البداهة والحقيقة واليقين. يقول عبد السلام بنعبد العالي: "إن النقد الجينيالوجي خلخلة وتقويض، ووسيلته في التفلسف هي المطرقة، بناء على ذلك، فالنقد الجينيالوجي إذ يستجيب ويقول نعم، فإنه لا يقولها للهوية والتطابق والكائن، وإنما للصيرورة والفوارق والاختلافات

تَوَسَّلَ فريدريك نتشه باستعارة موت الإله، ليهدم مجموعة من المسلمات الميتافيزيقية التي تقررت في ظروف تاريخية معينة، وهذه الاستعارة كناية عن مجاوزة الميتافيزيقا، التي بدأت من منظور فريدريك نتشه مع سقراط واكتملت مع فريدريك هيكل، وقد كان تاريخ الفلسفة طيلة هذا التاريخ مهموما بالبحث في العلل الأولى والغايات القصوى، باعتبار هذه الغايات وتلك من محددات الوجود، والحال أن سؤال الأصل والغاية ليست أسئلة محايدة، بل هي مشروطة بإرادة القوة.

يعتبر فريدريك نتشه أن إرادة القوة هي التي تتحكم في وجود القيم وفي تراتبيتها؛ وهنا يميز فريدريك نتشه بين أخلاق العبيد وأخلاق السادة. يقول فريدريك نتشه: "أثناء تجوالي بين أنماط الأخلاق العديدة، الرهيفة منها والغليظة، التي سادت حتى الآن على الأرض أو ما تزال، عثرت على سمات معينة اقترنت بعضا ببعض وترددت بصورة منتظمة، حتى انكشف لي في النهاية، نمطان أصليان انبرى بينهما فارق أساسي. هناك أخلاق للسادة وأخلاق للعبيد.

تتمثل أخلاق العبيد في الرحمة والشفقة والتسامح والديمقراطية والإيثار، في حين تكمن أخلاق السادة في القهر والبطش والتجبر والقوة؛ وما يحدد كلا النوعين هو إرادة القوة ولا شيء آخر غيرها؛ ذلك أن الضعفاء والعبيد لو أتيح لهم التمكين، لكانوا كذلك مستبدين متجبرين لا يخشون لومة لائم، ولكنهم نظرا لضعفهم يتخذون من أخلاق العبيد الآنفة الذكر تعلة للاحتماء من قهر الأقوياء.

يسعى فريدريك نتشه إذن إلى الكشف الجينيالوجي عن الفرق بين نمطين من الأخلاق: أخلاق السادة الذين يصدرون عن فعل خالص؛ في مقابل أخلاق العبيد الذين يصدرون عن رد فعل؛ وهو ما يدعونا إلى التساؤل عن الفرق الجوهري بين هذين النمطين الأخلاقيين، وعن النتائج الأخلاقية المترتبة عنهما؛ فإذا كانت سيادة السيد من منظور فريدريك نتشه سيادة خالصة، من حيث إنها تنطلق من الذات، فإن سيادة العبد سيادة على حساب الآخر؛ وعليه ففي الوقت الذي يمجد السيد الحياة، يمجد العبد الموت؛ ويفسر فريدريك نتشه هذا الاختلاف الجذري بين هذين النمطين الأخلاقيين بالانقلاب الذي أحدثه اليهود في تاريخ الأخلاق؛ فقد كان الرومان شعبا يمجدون القوة والحرب، فإذا باليهود يمجدون الضعف، ويجنحون نحو السِّلم

ما يحدد كلا النمطين الأخلاقيين من منظور فريديك نتشه هو إرادة القوة؛ إذ للسادة أخلاقهم الخالصة والفاعلة، وللعبيد أخلاقهم التابعة والمنفعلة، والتي يتخذون منها سلاحا لمقاومة قيم الحياة، في مقابل الانتصار لقيم الموت؛ ذلك أنه إن كانت أخلاق السادة محايثة للأرض ومرتبطة بها، فإن أخلاق

العبيد أخلاق ارتكاسية ومتعالية وزاهدة في الحياة ونعيمها؛ وكأني بلسان حال فريدريك نتشه يقول: عش ما طابت لك الحياة، فما الموت إلا عزاء العبيد وضعاف النفوس.